الدلالة الصوتية للأحرف النورانية في فواتح السّور المكيّة

Phonetic Significance of Norani Letters at the Meccan Surahs Opening

حمزاوي حياة[1]*

بكرى عبد الكريم[2]

[1] **جامعة وهران1 احمد بن بلة (الجزائر)، noha310000@gmail.com**

[2] **جامعة وهران1 احمد بن بلة (الجزائر)، bekrifabdelkrim@gmail.com**

تاريخ الاستلام: 2021/04/29 تاريخ القبول: 2021/09/25 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص:

إنّ القرآن الكريم هو كتاب الله الذي كبّل برونقه الجمالي كلّ جهبيذ من جهابذة لغة الضاد فاندهشوا وعجزوا أمام خباياه الإيقاعية، فكلّ حرف من حروفه إلّا وله دلالة عميقة ومنها الأحرف النورانية التي تنمّ عن مدى عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي اصطفى هذه الأحرف المنسجمة في أدائها الصوتي والذي لا يمكن لمخلوق مهما كان متضلّعا في علوم اللغة أن ينتقي مثل هذه المنظومة من بين أحرف اللغة العربية الشيء الذي يثبت قطعا أنّ القرآن هو كلام الله المعجز.

كلمات مفتاحية: الدلالة.، الصوت.، الحروف. النورانية.،الإعجاز.،الانسجام. الصوتي.

Abstract:

The Holy Quran ist he book of God which fascinated every Arabic language erudite scholar by its aesthetic splendor. Each of its letters has a deep significance, including inter alia the Norani (luminous) letters that denote the greatness of the Creator. He Almighty chose these harmonized letters in terms of their phonetical performance, and no creature-whatever his proficiency in linguistics- can choose such a system from the Arabic

* **المؤلف المرسل: حمزاوي حياة**

alphabet. Indeed, this undoubtedly proves that Quran is the prodigious word of God.
Keywords: Significance; Phoneme; Norani Letters; Miracles; Phonetical Harmony.

1. مقدمة:

منذ بزوغ فجر الإسلام ونزول المعجزة الخالدة على سيد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم ظفر القرآن الكريم بحظوة العلماء والدّارسين باعتباره كلام الله المعجز الذي أذهل العرب وأصمّ المشركين منهم، فما لبثوا أن أقرّوا بعجزهم رغم إحاطتهم بلغة الضّاد وإبحارهم في لجّ علومها، ورغم الفصاحة التي تميّز بها جهابذتهم من جزالة الخطاب وقوّ ة البلاغة إلّا أنّهم لم يستطيعوا معارضته، وفي هذا السياق يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء).

فيتضح من خلال الآية الكريمة أنّ الله سبحانه تحدّى العرب تاركا لهم الحرية في الاستعانة بمن شاؤوا من الإنس والجن جميعا، وقد طالب المولى جلّ علاه في أكثر من موضع في الذّكر الحكيم أن يأتوا بمثل كلامه ويعارضوا القرآن فخانهم التوفيق وبلغ بهم العجز منتهاه على الرغم من حرصهم الشديد على إفشال الرّسالة المحمّديّة الدّاعية لدين الله الحنيف والإيمان بوحدانية الخالق ولو كان في مقدورهم ذلك لما توانوا لحظة وهم أعداء الإسلام، فوقفوا منبهرين من هذه البلاغة المحكمة والنظم البديع والبيان الصادر من لدن حكيم خبير، وهذا ما يثبت – بحق– إعجاز القرآن الكريم الذي تعددت أوجهه منها الإعجاز الصوتي لاسيما وأنّ كلام الله جلّ شأنه نزل نزولا صوتيا ولم ينزل مدوّنا في كتاب يقول تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى)،كما بلّغ أيضا تبليغا صوتيا عن طريق الملَك جبريل —عليه السّلام– ثمّ لقّن للنّاس مشافهة .

وقد ظفرت حروف اللغة العربية بمنزلة شريفة خصوصا الأحرف النورانية التي اصطفاها المولى تبارك وتعالى وافتتح بها بعض السّور القرآنية الشي الذي يجعل المتمعن المتدبّر في كلامه سبحانه يتساءل عن

الدلالات التي تحملها في طياتها لاسيما الدلالة الصوتية وهذا ما يقود إلى طرح الإشكالية الآتية: هل للأحرف النورانية دلالة صوتية في السور المكية؟ وعلى ضوء هذه الإشكالية يمكن صياغة الفرضية الآتية:

للأحرف النورانية دلالة صوتية في السّور المكيّة.

إنّ هذا الموضوع يستوحي أهميته من النص القرآني الذي يمثّل قطب الرحى ومركز الثقافة الإسلامية، ومن ثمّة كان هدف البحث هو تحديد ماهية الأحرف النورانية واستنطاق الدّلالات الصوتية التي توحي بها وتختزنها في أغوارها وكنهها وذلك كلّه من أجل الكشف عن فاعلية النظم الصوتي في القرآن العظيم الذي مجّد الصوت وعظّم من شأنه باعتباره نزل نزولا صوتيا كما سبق ذكر ذلك.

هذا وقد اعتمد البحث على منهجية قائمة على وصف أضرب فواتح السور القرآنية لاسيما الأحرف النورانية ومن ثمّة استخراج دلالاتها وتحليلها صوتيا.

2.فواتح السور القرآنية

1.2 أضرب فواتح السّور القرآنية:

إنّ فواتح السّور هي أوّل كلمة تبدأ بها السّور القرآنية، وقد اتسمت بدقة نظمها ومعانيها وجمال أسلوبها وتراكيبها وذلك بما يناسب كلّ سورة من سور الذكر الحكيم المعجز. وقد اشتمل القرآن الكريم على مائة وأربعة عشر سورة افتتحها المولى – تبارك وتعالى- بصيغ مختلفة انحصرت في عشرة أضرب لا تخرج عن نطاقها، و أوردها الزركشي في البرهان في علوم القرآن (الزركشي، الصفحات 164-165)، على النحو الآتي:

الاستفتاح بالثناء عليه – جلّ ذكره – نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة)، والاستفتاح بالنداء نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (المائدة)، وكذلك بالجمل الخبرية كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (النحل)، الاستفتاح بالقسم نحو قوله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (الصافات)، الاستفتاح بالشرط والذي يعدّ من الصيغ التي انتقاها الله رب العالمين لبدء كلامه بها، منها قوله عظم شأنه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (المنافقون)، وكذلك الأمر الذي لا يخرج عن حيّز الصيغ المنتقاة من الله جلّ علاه لاستفتاح المعجزة الخالدة بها نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (الكافرون)،

والأمر نفسه بالنسبة للاستفهام الذي نال حظّه في انتقائه عزّ وجلّ لاستفتاح كلامه به وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (الغاشية)، الاستفتاح بالدعاء في مثل قوله جلّ شأنه: ﴿وَيْلٌ لِلمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين)، الاستفتاح بالتعليل في سورة واحدة هي: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (قريش)، وأمّا الضرب العاشر من فواتح السور فهي أحرف الهجاء التي افتتح بها الله عزّ شأنه القرآن العظيم في تسع وعشرين سورة نحو قوله تعالى: ﴿طه﴾ (طه) ، ﴿ألر تِلْكَ ءَايآتُ الكِتَابِ المبِينِ﴾ (يوسف)، وهو الذي سيكون محور حديثنا في هذا المقال بحول الله.

وقد جمع أبو شامة المقدسي فواتح السّور القرآنية في بيتين هما:

أثنـــى علـــى نفســـــه سبحانـــه بـثبـــو ت المدح والسلب لما استفتح السورا

والأمر شرط الندا التعليل والقسم الـ ـدعاء حروف التهجي استفهم الخبــرا (الرومي، 1997، صفحة 10)

وتعدّ حروف التهجي أو ما تسمّى بالأحرف النورانية أشهر أضرب الاستفتاح التي تباينت آراء العلماء حولها لما حملته من أسرار لم يتسنى لهم أن يكشفوا الغطاء عن كنهها رغم محاولاتهم واجتهاداتهم الجليلة.

2.2 التعريف بالأحرف النورانية

تكتسي حروف اللغة العربية قدسية عظيمة، ذلك لأنّ القرآن الكريم مكوّن منها فنالت شرفا لا يضاهيه شرف بسبب حملها لدلالاته العظيمة، غير أنّ حظوة الأحرف النورانية من قبل المولى – جلّ علاه– لا نظير لها لأنّه أنعم عليها بأن ميّزها عن غيرها من حروف لغة الضّاد فاستهلّ بها سوره العظيمة.

إنّ الأحرف النورانية هي مقطع مؤلّف من حرف أو أكثر من الحروف الهجائية وتسمّى هذه المقاطع بفواتح السور وتلقّب حروفها بالحروف النورانية، وهذه الفواتح جاءت في مطلع تسع وعشرين سورة، وتتكوّن من حرف أو أكثر ينطق كلّ حرف بمفرده (الزركشي، صفحة 165).

والحروف النورانية عددها نصف عدد حروف الهجاء وتبلغ أربعة عشر حرفا تتمثل في الآتي:

ا- ح- ر- س- ص- ط- ع- ق- ك- ل- م- ن- هـ- ي، مجموعة في جملة شريفة هي: "نص حكيم قاطع له سرّ" (بيضون، صفحة 177).

وتجدر الملاحظة أنّ هاته الحروف تمّ التحصل عليها من خلال إسقاط الحروف المتكرّرة.

ولقد أطلق على الأحرف النورانية تسميات عدّة منها الحروف المقطعة، وإنّما سمّيت كذلك لقطعها في النطق وإن وصلت في الرّسم، فيُقرأ كلّ حرف فيها مقطوعا عن غيره فمثلا: كهيعص لا تقرأ موصولة هكذا كهيعص، وإنّما تقطّع حروفها لتنطق بأسمائها حرفا حرفا هكذا كاف ها يا عين صاد، مع مراعاة المدود أثناء تلاوة القرآن العظيم وأحكام التجويد المتمثلة في مخارج الحروف وصفاتها وزمن المدّ (الوهاب، صفحة 16).

3.أبنية الأحرف النورانية ودلالتها الصوتية

1.3 أبنية الأحرف النورانية:

افتتح المولى تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة قرآنية بالأحرف النورانية بصور مختلفة من حيث عدد الأحرف المستفتح بها، فمنها ما جاءت حرفا واحدا ومنها ما جاءت حرفين ومنها ثلاثة أحرف ومنها أربعة أحرف ومنها خمسة أحرف.

ويمكن حصر هذه الأحرف وفق النسق الآتي في الجدول رقم 01 أدناه.

الجدول 1: أبنية الأحرف النورانية

النسق	فواتح	السورة	نوعها	الآية القرآنية
أحرف موحدة	ص	سورة ص	مكية	قال الله تعالى: ﴿ص والقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ(1)﴾
	ق	سورة ق	مكية	قال تعالى:﴿ق والقُرْآنِ المجِيد(1)﴾
	ن	سورة القلم	مكية	قال تعالى: ﴿ن والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون(1)﴾
أحرف مثناة	طه	سورة طه	مكية	قال تعالى: ﴿طه (1) مَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى(2)﴾
	طس	سورة النمل	مكية	قال تعالى: ﴿طس تِلْكَ ءَايَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مَبِينٍ(1)﴾
	يس	سورة يس	مكية	قال تعالى: ﴿يس(1) وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ(2)﴾
	حم	سورة غافر	مكية	قال تعالى:﴿حم(1) تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ(2)﴾
	حم	سورة فصّلت	مكية	قال تعالى: ﴿حم(1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(2)﴾
	حم	سورة الزخرف	مكية	قال تعالى: ﴿حم(1) وَالكِتَابِ المبِينِ(2)﴾
	حم	سورة الدخان	مكية	قال تعالى: ﴿حم(1) وَالكِتَابِ المبِينِ(2)﴾
	حم	سورة الجاثية	مكية	قال تعالى: ﴿حم(1) تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ(2)﴾
	حم	سورة الأحقاف	مكية	قال تعالى: ﴿حم(1) تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ(2)﴾.

مثلثة الحروف	الم	سورة البقرة	مدنية	قال الله تعالى: ﴿الم(1) ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدى لِلمُتَّقِينَ(2)﴾
	الم	سورة آل عمران	مدنية	قال تعالى: ﴿الم(1) اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ(2)﴾
	الم	سورة العنكبوت	مكية	قال تعالى: ﴿الم(1)أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾
	الم	سورة الروم	مكية	قال تعالى: ﴿الم(1) غُلِبَتِ االرُّومُ (2)﴾
	الم	سورة لقمان	مكية	قال تعالى: ﴿الم(1) تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ(2)﴾
	الر	سورة السجدة	مكية	قال تعالى: ﴿الم(1) تَنْزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِين(2)﴾
	الر	سورة يونس	مكية	قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ(1)﴾
	ألر	سورة هود	مكية	قال تعالى: ﴿ألر كِتَابٌ احْكِمَت –ايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(1)﴾
	ألر	سورة يوسف	مكية	قال الله تعالى: ﴿ ألر تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المبِينِ(1)﴾
	ألر	سورة إبراهيم	مكية	قال تعالى: ﴿ ألر كِتَابٌ أَنْزَلْنَــهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِم إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ(1)﴾
	طسم	سورة الحجر	مكية	قال الله تعالى: ﴿ ألر تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينِ(1)﴾
	طسم	سورة الشعراء	مكية	قال الله تعالى: ﴿ طسم(1) تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ المبِينِ(2)﴾
أحرف رباعية	المص	سورة الأعراف	مكية	قال تعالى: ﴿المص(1) كِتَابٌ انْزِلَ إِلَيكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلمُومِنِينَ(2)﴾
	المر	سورة الرعد	مكية	قال تعالى: ﴿المر تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ وَالذِّي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُومِنُونَ(1)﴾
أحرف خماسية	كهيعص	سورة مريم	مكية	قال الله تعالى: ﴿كهيعص(1) ﴾
	حم عسق	سورة الشورى	مكية	قال الله تعالى: ﴿حم(1) عسق(2) ﴾

2.3 الدلالة الصوتية للأحرف النورانية:

تباينت آراء العلماء وأقوالهم حول إبراز معاني الأحرف النورانية، فمنهم من ذهب إلى أنّها سرّ محجوب وعلم استأثر الله تعالى به فلا ينبغي الخوض فيه ، فعن أبي بكر – رضي الله عنه– قال: " في كلّ كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السّور" ، وعن علي – رضي الله عنه– قال: " أنّ لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي" (البقاعي، صفحة 30)، ومنهم من سلك نهجا آخر قائما

على الاجتهاد في التوصل إلى تحديد معانيها ويدرج ضمن نطاق التدبّر في كتاب الله تعالى مستندين في ذلك على قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا﴾ (محمد)، فتعددت بذلك دلالتها وهذا بتعدّد ما توصّل إليه العلماء والمفسرون فذكروا ما يزيد على عشرين وجها.

إنّ من جملة ما رُصِدَ من خلال الجدول 01 تكرار الألف واللّام في السور المفتتحة بالأحرف النورانية ممّا يدلّ على أنّها تمثل الحجر الأساس في تراكيب الكلم و أنّ القرآن الكريم مؤلف منها، كما تنمّ في الآن ذاته على دلالة صوتية عجيبة تشتمل على البداية والنهاية والوسط بينهما – ويقصد هنا ألـــم– أي على أساس مخارج الحروف بدءًا من أقصى الحلق والذي يمثله حرف الألف ثمّ حرف اللام وهو من وسط مخارج الحروف يليها حرف الميم الذي مخرجه الشفة، فهذه الثلاثية من الحروف تتمخض عن دلالة باطنية تحمل في كنفها سرّا قد يتمثل في بداية الخلق ونهايته وتتوسط هذه الثنائية المراحل التي يمرّ بها الخلق أي الوسط.، كما قد تدلّ على المراحل التي مرّ بها التنزيل من البداية إلى الوسط حتى بلوغ النهاية. وقد قدّم الباقلاني بخصوص ذلك التعليل الصوتي الآتي :

"لأنّ الألف المبدوءة بها هي أقصاها مطلقا، واللّام متوسطة والميم متطرفة، لأنّها تأخذ في الشفة، فنبّه بذكرها على غيرها من الحروف، وبيّن أنّه أتاهم بكلام منظوم ممّا يتعارفون من الحروف التي تردّد بين هذين الطرفين" (الباقلاني، الصفحات 68-69)، ومن ثمّة فإنّ الباقلاني قدّم دلالة صوتية مبنية على أساس مخارج الحروف وذلك من أقصى الحلق إلى حروف الشفة الشيء الذي يدلّ على الإعجاز الصّوتي المتمخّض عن هذا النّظم القرآني المتسلسل من ربّ الملكوت والذي لا يُخْتَلَفُ في شأنه.

– ويلاحظ على السور المفتتحة بالطواسين ملاءمة حرف الطاء مع حرف السين ومجانسته لحرف الهاء في سورة طه من حيث مخارج الحروف فمن صفات حرف الطاء الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات وهذا يتناسب تماما مع صفات حرفي السين والهاء والتي تتمثل صفاتهما في الهمس والرخاوة والاستفال والصفير والانفتاح.

إنّ للأحرف النورانية علاقة صوتية متناغمة مع الفواصل القرآنية، فبالرّجوع إلى السّور المفتتحة بالأحرف المقطّعة والمرتبطة بالبحث نجد مثلا أنّ سورة "مريم" و"طـه" و"النّمل" و"الشعراء" حروف

الافتتاح فيها مناسبة ومنسجمة موسيقيا مع الفواصل التي تليها، وفي ذلك نورد بعض الأمثلة التوضيحية في الجدول رقم 02 أدناه.

الجدول 2: علاقة الأحرف النورانية الصوتية بالفواصل القرآنية

السورة	فاتحة السورة	الآية الموالية لها	الفاصلة القرآنية
مريم	كهيعص	﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾	الألف الممدودة (ا)
طـه	طـــه	﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾	الألف المقصورة (ى)
الشعراء	طـسـم	﴿تِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	ياء ونون (ين)

ففاتحة سورة مريم تقرآ على النحو الآتي: كاف ، ها، يا، عين، صاد يلاحظ أنّها تضمنت مدودا وهي منسجمة صوتيا مع الآية التي تليها، والمنتهية بألف ممدودة ورغم ورود حرف الدال ساكنا في صادْ إلّا أنّ المدّ يخفي هذا السكون. وكذلك الأمر في سورة "طـه" التي تقرأ (طا ها) تماثلت مع الألف المقصورة في الفاصلة التي تليها. والأمر نفسه بالنسبة لفاتحة سورة "الشعراء" التي تقرأ (طا سين ميم) تتقارب مع الفاصلة الموالية لها وهي النون المسبوقة بياء اللين .

والملاحظ على سور "طـــه" و"الطواسين" أنّها اقترنت بسيدنا موسى –عليه السّلام– وألواحه، ويوضح فاضل السّامرائي ذلك بقوله: "... إلّا أنّ العجب أنّ كلّ سورة تبدأ بالطّاء ترد فيها قصّة موسى في أوائلها مفصّلة قبل سائر القصص" (السامرائي، 2002، صفحة 224).

وإذا حلّلنا صوتيا صوت الهاء في سورة "طه" والطاء والسين والميم في سورة "الشعراء" فإنّنا نجد الآتي وذلك في الجدول رقم 03

الجدول 3: صفات الأحرف النورانية ودلالتها الصوتية

السورة	صفات أحرفها النورانية	دلالتـــها الصوتيــة
طه	صوت الهاء: الهمس– الرخاوة – الاستفال – الانفتاح	إنّ صوت الهاء بصفاته يتناسب تماما مع سياق السورة والتي تحمل العاطفة والرحمة الإلهية اتجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، ويتضح ذلك بشكل جليّ في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.
الشعراء	صوت الطاء: الجهر– الشدة – الاستعلاء – الإطباق – الإصمات	أمّا حرف الطّاء وما ينضوي عليه من صفات كالجهر والاستعلاء وغيرها فإنّه يتناسب مع الطاغية فرعون الذي كان عاليا في الأرض متلسطا عاتٍ هو وأتباعه ولكنّ عاقبته كانت وخيمة لأنّ الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده وهو ذو الجبروت القوي المتعال.
	صوت السين: الهمس – الاستفال – الانفتاح	صوت السين قد يدل على أنّه رغم أنّ صوت فرعون وأعيانه كان مسموعا وسط أقوامهم نظرا لطغيانهم وإسرافهم في الأرض، إلّا أنّه غير مسموع ومهموس عند المولى تبارك وتعالى ويظهر ذلك عندما نادى فرعون ربّه يطلب الاستغاثة فلم يستجب الله عز وجلّ له لأنّه خاب من حمل ظلما.
	صوت الميم: الجهر – الرخاوة – الانفتاح – الاستفال – الترقيق	إنّ صوت الميم تناسب تماما مع السورة التي أبرزت تارة الجهر بعاقبة الظلم اتجاه فرعون المتسلط فجاءت ملائمة لقوة المواجهة والتحدي والمحاجّاة التي حصلت بين موسى عليه السلام وفرعون، كما أبرزت تارة أخرى الرحمة والعطف الإلهي اتجاه عباده المظلومين ويظهر ذلك في قوله:﴿وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

إنّ من عجائب الدّلالة الصوتية التي حملتها الأحرف النورانية في طيّاتها حرف الصّاد في سورة "ص" الذي انتقاه المولى – عزّ وجلّ– لمناسبته سياق السّورة التي اشتملت على أصداء الخصومات التي تقرع الأذن نظرا لجوّ المحاكمات وارتفاع الأصوات أثناء الخصومة التي تتسم – بطبيعة الحال– بالشدّة والعنف يقول الزركشي: " ... فأولها خصومة الكفار مع النبي صلّى الله عليه وسلم، ثمّ اختصام الخصمين عند داود، ثمّ تخاصم أهل النّار، ثمّ اختصام الملأ الأعلى في العلم، ثمّ تخاصم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسّجود ..." (الزركشي، صفحة 170).

وإذا دقق النظر في سورة "ق" نجد أنّ حرف القاف من الحروف الجهرية الشديدة المستعلية المنفتحة كما أنه من حروف القلقلة والسورة بأكملها جاءت مشتملة في معظم فواصلها على حروف القلقلة المعروفة بعبارة "قطب جد" وهذا يدل دلالة صوتية على ملاءمة حرف القاف لحروف القلقة الأخرى في الفواصل القرآنية كما أنّ السورة تضمنت محطّات عدّة منها الأقوام التي كذبت بالأنبياء والمرسلين كعاد وفرعون وقوم لوط وإنكار المشركين للنبوة المحمدية وغيرهم ممّا فصل الذكر الحكيم فيهم والذين تميزوا بالطغيان والظلم والاستعلاء وصدى أصواتهم إلى جانب تضمن السورة لسكرة الموت وأهوال يوم القيامة فجاء حرف القاف مناسبا للسياق من حيث اتسامه بالاستعلاء والجهر والشدّة فعذاب الله كان شديدا اتجاههم ورغم استعلائهم فوق الأرض إلّا أنّ العلو والرفعة كلّها لله عزّ وجلّ . وبالتالي كلّ معاني السّورة مناسبة لما في حرف القاف من الصفات التي سبق ذكرها.

وكذلك الأمر في سورة "القلم" فإنّ فواصلها كلّها تنتهي بمقطع أشبه بلفظ نون الذي يتكوّن من ثلاثة أحرف فهو يلفظ نُون ويوقف على حرف النون بالسّاكن وبالتالي فهو مكون من الحرف الأوّل متحرّك يليه حرف "الواو" وهو حرف مدّ ساكن من جنس حركة حرف النون المضمومة التي قبله ثمّ يختم بالنون الساكنة عند الوقف، فالنون هي لازمة الإيقاع الموسيقي التي تضبط عليه فواصل الآيات في السّورة كلّها مثال: يسطرون، مجنون، ممنون.

ولا تخل الأحرف النورانية التي بدأت بها سورة الرّعد من الدلالات الصوتية العجيبة فالسّورة افتتحت بـ "ألـمـر"، وما هو معروف عن حرف الرّاء أنّه موصوف بالتكرير فجاء مناسبا للسورة التي ذكر فيها الرّعد والذي عادة ما يتكرّر صوته مرارا .

وقد لوحظ أنّ الأحرف النورانية إذا تألفت من مقطع واحد أو مقطعين أحدهما أو كلاهما مقطع متوسط مفتوح فإنّ الذي يليها هو لفظ القرآن (قطب، صفحة 41)، نحو قوله تعالى: ﴿ق والْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (ق)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ص والْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص). فكلّ من (ق) و (ص) الملفوظتان صاد وقاف مقطع واحد، وممّا جاء منها على مقطعين قوله تعالى: ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)﴾ (طه، القرآن الكريم)، وقوله تعالى: ﴿يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2)﴾ (يس)، فكلّ (طه)

الملفوظة (طا- ها) و (يس) الملفوظه (يا – سين) مكونة من مقطعين، فهذا قد يدلّ على أنّ القراءة عادة ما تكون أسهل ومتيسرة لجميع الناس بخلاف الكتابة التي تكون أصعب لأنها تتطلب بذل مجهودات كبيرة كما أنّها تحتاج إلى وسائل من قلم وقرطاس لذا في سور الحواميم تلاها لفظ الكتاب كما أن الأحرف النورانية فيها مفتتحة بمقاطع طويلة نحو قوله تعالى: ﴿حم(1) تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ(2)﴾ (غافر)، وقوله سبحانه: ﴿حم(1) وَالكِتَابِ المبِينِ(2)﴾ (الدخان)، فالحواميم تتطلّب من التالي لذكره عز وجلّ بذل جهد كبير أثناء النطق ممّا يناسب الكتابة التي ليست إمكانية متاحة للجميع بخلاف القراءة كما أسلفنا.

والأمر نفسه بالنسبة لفواتح سور "يونس" و "هود" و "يوسف" و "إبراهيم" و "الحجر" فقد وردت بعدها لفظة كتاب التي سبق تحليلها، والملاحظ على هذه الأحرف النورانية أنّها اشتملت على مدّ ست حركات، والذي يقصد به إطالة صوت الحرف ممّا يستدعي قوّة النّفس وبذل جهد أثناء التلفظ والتلاوة وهذا يناسب تماما الكتابة التي تتطلب قوّة التحمّل من أجل تعلمها وإتقانها.

وقد اهتمّ علماء الإعجاز القرآني بالتصنيف الصوتي لهذه الحروف في فواتح السّور القرآنية، وبيان أسرارها التركيبية ودلالتها الصوتية، وكان أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ) في طليعة هؤلاء الأعلام (الصغير، 2000، صفحة 85)، يقول الباقلاني: "إنّ الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السّور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السّور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا ليدلّ بالمذكّر على غيره، والذي تنقسم إليه هذه الحروف أقساما، فمن ذلك قسّموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة وهي: الحاء والهاء والخاء والكاف، والشين والثّاء والفاء والتاء والصّاد والسّين، وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وقد عرفنا أنّ نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السّور ، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السّواء لا زيادة ولا نقصان" (الباقلاني، صفحة 66).

عدّد الباقلاني عدد حروف المعجم التي تساوت مع عدد السّور المفتتحة بالأحرف النورانية، وبالتالي عدّة السّور دالّة على عدّة الحروف، وهذه الحروف إمّا مهموسة أو مجهورة، ونصف الحروف المهموسة

مذكور في جملة الأحرف النورانية وهي: الحاء، الصّاد، السّين ، الكاف، الهاء، وكذلك الأمر بالنسبة لنصف الأحرف المجهورة دون زيادة عليها أو نقصان.

هذا وقد عرض الباقلاني إلى تفصيل آخر مؤدّاه أنّ نصف حروف الحلق ((العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين)) مذكور في جملة هذه الحروف وهو العين، الحاء، الهاء، وكذلك نصف عدّة الحروف التي ليست من حروف الحلق مذكور في جملة هذه الحروف ، وأنّ نصف الحروف الشديدة ((الهمزة والقاف والكاف والجيم والتاء والدّال والطّاء والباء)) مذكور في جملة هذه الحروف، والمذكور: الطاء والقاف والكاف والهمزة، وأنّ نصف الحروف المطبقة وهي ((الطّاء والضّاد والصّاد والظّاء)) مذكور في جملة هذه الحروف والمذكور هو الصّاد والطّاء (الباقلاني، الصفحات 67-68).

عند إمعان النظر في الحروف النورانية الأربعة عشر نجدها تشتمل على أنصاف أجناس الحروف الهجائية، وهذا بناء على ما أورده الباقلاني وذلك على النحو الآتي:

نصف حروف الهمس، نصف حروف الجهر، نصف حروف الحلق، نصف حروف غير حلقية، نصف حروف الشدّة، نصف الحروف المطبقة.

والملاحظ على هذا التصنيف أنّه قائم على أساس مخارج الأصوات اللغوية الشيء الذي أسفر عن دلالة صوتية.

ومن العلماء الذين ساروا على نهج الباقلاني في تناول مسألة إعجاز الأحرف النورانية جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) الذي أفاد ممّا أبداه الباقلاني مع شيء من التفصيل . يقول الزمخشري: "اعلم أنّك إذا تأمّلت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي الألف واللام والميم والصاد والرّاء والكاف والهاء والياء والعين والطّاء والسّين والحاء والقاف والنّون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، ثمّ إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف" (الزمخشري، صفحة 101).

وقد فصّل الزمخشري في الهمزة والألف حيث أطلقت (ا) على الألف اللينة وأطلقت (ء) على الهمزة يقول: "الهمزة والألف حرف واحد عند الفقهاء وحرفان في عرف العامّة" (الزمخشري، صفحة

101). كما أوضح الزمخشري تبعا للباقلاني أنّ هذه الحروف من المهموسة نصفها وعدّدها، ومن المجهورة نصفها وعدّدها، ومن الشديدة نصفها وعدّدها، ومن الرخوة نصفها وعدّدها، ومن المطبقة نصفها وعدّدها، ومن المنفتحة نصفها وعدّدها، ومن المستعلية نصفها وعدّدها، ومن المنخفضة نصفها و عدّدها، ومن حروف القلقة نصفها وعدّدها (الزمخشري، صفحة 102).

وبالتالي يمكن جدولتها على النحو الآتي:

- الحروف المهموسة: الصاد، الكاف، الهاء، السين، الحاء.
- الحروف المجهورة: الألف و اللام، الميم، الرّاء، العين، الطاء، القاف، الياء، النون.
- الحروف الشديدة: الألف، الكاف، الطاء، القاف.
- الحروف الرخوة: اللام ، الميم، الراء، الصاد، الهاء، العين، السين، الحاء، الياء، النون.
- الحروف المطبقة: الصاد، الطاء.
- الحروف المنفتحة: الألف، اللام، الميم، الراء، الكاف، الهاء، العين، السين، الحاء، القاف، الياء، النون.
- الحروف المستعلية: القاف، الصاد، الطاء.
- الحروف المنخفضة: الألف، اللام، الميم، الراء، الكاف، الهاء، الياء، العين، السين، الحاء، النون.
- حروف القلقلة: القاف، الطّاء.

يلاحظ أنّ الزمخشري قد فصّل في أنصاف أجناس الحروف التي لم يرد ذكرها عند الباقلاني وتتمثّل في الحروف الرخوة والحروف المنفتحة، والحروف المستعلية، والحروف المنخفضة وحروف القلقلة، فهاته أدرجها الباقلاني في جملة حروف الحلق وغير الحلق إلّا أنّ الزمخشري وسّع في تفصيلها تاركا بذلك الإجمال وأورد المسميات.

4. خاتمة:

إنّ الأحرف النورانية تدلّ على أنّ لها – نظرا لخصوصيتها – دلالة صوتية ،فقد أجمع أهل النّظر على معاني هذه الحروف التي يتكوّن منها القرآن الكريم، وهي الحروف العربية التي يتكلّم بها النّاس عامّة

وحاملوا لواء الفصاحة الممتلكين ناصية البيان والنّظم وجماليات الأسلوب خاصّة، والذين لطالما افتخروا بملكتهم الشعرية واللغوية وجاهروا بها ولكنّ المولى تبارك وتعالى تحدّاهم بالقرآن الكريم المؤلّف من حروف لغتهم ليدلّ على دلالة واحدة وهي أن هذا القرآن جاء بنفس الأحرف التي تتكلّمون بها وتنظمون بها بحور أشعاركم فعجزتم عن محاكاته وصياغة مثل ألفاظه رغم أنّه مكوّن من نفس الأحرف التي تبنون منها كلامكم، وهذا يكشف عن الإعجاز الصوتي والدّور العظيم الذي بذله علماء الإسلام في رصد أوجه الإعجاز التي يحملها القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا تتوقف معانيه على معنى واحد بل المجال مفتوح لكلّ من يفتح الله عليه بالتأمّل والتدبّر.

5. قائمة المراجع:

الإسراء ,ص .*القرآن الكريم* .الآية.88

الباقلاني. *إعجاز القرآن*.

الزمخشري. *الكشاف*.

الصافات ,س .*القرآن الكريم* .الآية.1

القرآن الكريم. *سورة الإسراء*.

الكافرون ,س .*القرآن الكريم* .الآية.1

المائدة ,س .*القرآن الكريم* .الآية.1

المنافقون ,س .*القرآن الكريم* .الآية.1

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. *البرهان في علوم القرآن*.

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. بيروت: دار الكتاب العلمية.

سورة الإسراء. *القرآن الكريم*. الآية 88.

سورة الأعلى. *القرآن الكريم* . الآية 6.

سورة الدخان. *القرآن الكريم*. الآية 1-2.

سورة الغاشية. *القرآن الكريم*. الآية1.

سورة الفاتحة. *القرآن الكريم* . الآية 1.

سورة المطففين. *القرآن الكريم*. الآية1.

سورة النحل. *القرآن الكريم* . الآية 1.

سورة ص. *القرآن الكريم*. الآية1.

سورة طه. *القرآن الكريم*. الآية1.

سورة طه. *القرآن الكريم*. الآية1-2.

سورة غافر. *القرآن الكريم*. القرآن الكريم.

سورة ق. *القرآن الكريم*. الآية1.

سورة محمد. *القرآن الكريم*. الآية24.

سورة يس. *القرآن الكريم*. الآية 1-2..

سورة يوسف. *القرآن الكريم*. الآية1.

سيد قطب. *في ظلال القرآن*.

فاضل صالح السامرائي. (2002). *التعبير القرآني*، . دار عمار، طبعة 2.

فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي. (1997). *وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور*، *مكتبة التوبة*. الطبعة الأولى.

قريش ,س .*القرآن الكريم* .الآية.1

لبيب بيضون. *الإعجاز العددي في القرآن*.

محمد حسين علي الصغير. (2000). *الصوت اللغوي في القرآن*. لبنان: دار المؤرخ العربي، طبعة1. .

يوسف عبد الجليل بن صالح بن عبد الوهاب. *الزهور البهية في شرح القاعدة النورانية*.